تحت الرعاية السامية لمعالي وزير التعليم العالي والبحث العلمي

SOUS LE HAUT PATRONAGE DE MONSIEUR, LE MINISTRE DE L' ENSEIGNEMENT SUPERIEUR ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE

# الجـامعة الإفريقية العقيد أحمد دراية - أدرار

# L'UNIVERSITE COLONEl AHMED DRAYA-ADRAR

تنظـــــــم

**ORGANISE**

## الملتقى الدولي الحادي عشر

## Onziéme Colloque International

# التصوف في الإسلام والتحديات المعاصرة

# Le Soufisme en Islam et Les défis contemporains

أيام: ٩-١٠-١١ نوفمبر ٢٠٠٨

# المحور الثالث:

# العلاقة بين أهل التصوف وغيرهم

# دور المتون الفقهية في إبراز علم التصوف في المذهب المالكي (المرشد المعين لابن عاشر أنموذجا)

ا. د. عز الدين يحي
بوسعيد سليمان
جامعة أدرار

الملخص:

**لقد كان ولا يزال للمتون الفقهية التعليمية والعلمية الدور البارز المبلور لعلم التصوف في المذهب المالكي، وإعطاءه بعده السني البعيد عن الابتداع، ويظهر ذلك جليا في إفراد ممن اشتغلوا بها مبحثا خاصا بعلم السلوك والأخلاق، يختتمون به تصانيفهم بعد معالجتهم مبحثي الإيمان والإسلام (عبادات ومعاملات).**

**وتأسيسا على ذلك نحاول أن نؤصل لما سبق بالمقاربات من خلال قراءة متأملة في حديث جبريل للإيمان، وأثره على منهجية التأليف في المذهب المالكي المختوم بالتصوف، مع التأكيد أن لفقه المتون والمختصرات دورا جليلاً يستحق أن نظهر جوانبه الحيوية، من خلال دراسة المرشد المعين لابن عاشر أنموذجا.**

**وتوصل البحث إلى جملة النتائج والتوصيات يؤدي العمل بها إلى تفعيل هذا الدور .**

Résumé:

La jurisprudence éducative et scientifique a eu ,et, a toujours un rôle important dans l'enseignement du soufisme (mysticisme), selon la doctrine (on idéologie) malékite, lui donnant le sens des pratiques (sunna) gardées loin de toute innovation. et cela apparaît clairement dans l'étude qu'ont fait certaines personnes dans la recherche spécifique de la science des mœurs et de l'éthique, concluant ainsi leur classification, après traitement des recherche sur la foi et l'islam( culte et pratiques).

A partir de cette base, nous essaierons d'atteindre ce qui a été cité précédemment, par rapprochement, a travers le « hadith » (propos) de JIBRIL (Gabriel), sur la foi ,et son impact sur la méthode d'interprétation, dans la doctrine malékite, pleine de soufisme. avec la certitude que les texte de jurisprudence et certains extrait ont eu un rôle d'importance ,qui mérite d'en dévoiler ses cotes actifs a travers l'étude du guide affareut d'IBN ACHIR, comme modèle .

La poursuite de la recherche pour arriver a tous les résultats et recommandations, mènera a l'activation de ce rôle .

المقدمة:

**الحمد لله الكريم المنان، باعث جبريل عليه السلام لسيد ولد عدنان، ليعلمه الإيمان والإسلام والإحسان، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للثقلان، فكان أحسن من ترك ظاهر الإثم وباطنه امتثالا لقوله تعالى: (وذروا ظاهر الإثم وباطنه)(1)، فنال السكينة والاطمئنان، فضلا عن البشرى بجنة الرضوان، وعلى اله وصحبه الذين سلكوا مسالك الأخيار في الظاهر والباطن، فحلوا نفوسهم بالفضائل ودأبوا على تنقيتها من الرذائل.**

**أما بعد: لاشك أن الإلمام بالعلم يتفاوت فيه البشر على حسب المدركات وسعة الاستيعاب والدرجات العلمية، مما جعل كثير من أهل العلم الشرعي ينضمون المسائل على شكل المتون تسهيلا للحفظ، ومن هنا تتضح أهميتها التي لا تقل أهمية عن باقي المصنفات التي عرفت بالطول، وفي هذه الدراسة نحاول أن ندرس أنموذجا من المنظومات المختصرة المعروفة (بالمرشد المعين على الضروري من علوم الدين لابن عاشر) التي أراد بها صاحبها شرحا لحديث جبريل، فجاء بمقدمة في العقائد شارحا للإيمان ثم جاء باركان الإسلام، من صلاة وزكاة وصوم حج، (2) وختاما بالإحسان الذي هو مدار هذه الدراسة .**

**ويأتي هذا البحث في مبحثين اثنين على النحو الاتى:**

المبحث الأول: قراءة في المرشد المعين وأدواره في إبراز علم التصوف.

المطلب الأول: ترجمة الناظم.

المطلب الثاني: دراسة النص.

المطلب الثالث: الأدوار التي لعبها النص في تجلية وإبراز علم السلوك والأخلاق.

المبحث الثاني: مبدأ الإحسان في حديث جبريل وأثره في كتاب التصوف لابن عاشر.

المطلب الأول: العناصر الثلاثة في حديث جبريل.

المطلب الثاني: شرح مفهوم الإحسان.

المطلب الثالث: تطبيقاته في باب التصوف لابن عاشر.

* خاتمة وتشمل: – نتائج وتوصيات البحث.

المصادر والمراجع.

المبحث الأول: قراءة في المرشد المعين وأدواره في إبراز علم التصوف.

المطلب الأول: ترجمة الناظم.

**هو عبد الواحد بن احمد بن علي بن عاشر، الأنصاري نسبا، الأندلسي أصلا، الفاسي منشأ ودارا، يعد من فقهاء المدرسة المغربية في المذهب المالكي البارزين، كان رحمه الله تعالى عالما، عاملا ورعا عابدا مفتيا في علوم شتى، ذا معرفة بالقراءة وتوجيهها، وبالنحو والتفسير، والإعراب، والرسم**

**والضبط، وعلم الكلام والأصول والفقه والتوقيت، والتعديل والحساب والفرائض وعلم المنطق، والبيان والعروض والطب وغير ذلك، يؤرخ لولادته (990هـ/1528 م)، وتوفي سنة(1040هـ) تاركا وراءه تاليف كثيرة، منها هذه المنظومة العديمة المثال في الاختصار وكثرة الفوائد والتحقيق(3).**

المطلب الثاني: دراسة النص.

**النص الذي بين أيدينا هو من النصوص المعتمدة في فقه المذهب المالكي، والتي ذاع صيتها، ودأب المعلمين والمتعلمين أميين وناشئة ومتبحرين على الاشتغال به.**

(ا)- الشكل:

**يأتي هذا النص البالغ،(317)بيتاً في البحر الرجز، وهو في درجة فائقة السبك والنظم يسير للقراءة والحفظ، أكثر ناظمه من المحسنات اللفظية والبديعية وتفنن فيها، كالاقتباس، والجناس،الخ.**

**ومن أمثلة الاقتباس نأخذ ما يخدم موضوعنا هذا في قوله:**

- **وأما الإحسان فقال من دراه أن تعبد الله كأنك تراه .**
- **إن لم تكن تراه انه يراك والدين ذي الثلاث خذ أقوى عراك(4) .**
- **فالبيتين 46-47 مقتبسين من حديث جبريل عند الحديث على الإحسان. (5)**

**أما الجناس فهو كثير إلا أن اغلبه جناس ناقص.**

(ب)- المضمون :

**بين فيه لعديد من أحكام الدين الضرورية بدا بمقدمة للمسائل العقائدية على مذهب أهل السنة والجماعة (الاشعرية)، ثم الموضوعات الأصولية، والفقهية معتمدا على الراجح من أقوال المذهب وأقوال الخليل بن إسحاق في مختصره، وختم نظمه هذا بالتصوف من آداب وتزكية وأخلاق.**

**ذكر الشراح أن المؤلف خرج إلى الحج وكانت معه رفقة جاهلة بأحكامه، فاخذ ينسج نظما سهلا على حسب مدركاتهم يوضح فيه المناسك ليقيهم الزلل(6)، فكان باب الحج أول ما نظم، وعند رجوعه أخد يكمل نظمه المتكون من عشرة أبواب، ربما تيمنا باسم جده عاشر وهي كالآتي:**

**- مقدمة الاعتقاد، كتاب أم القواعد، مقدمة من الأصول، كتاب الطهارة، فصل فرائض الوضوء، كتاب الصلاة، كتاب الزكاة، كتاب الصيام، كتاب الحج، كتاب مبادئ التصوف.مراعيا في ذلك الطبقة الثقافية (الأمية)التي خاطبها في بداية السبك، وصرح بذلك في مطلع القصيدة بقوله:**

**وبعد فالعون من الله المجيد في نظم أبيات للامي تفيد(7).**

المطلب الثالث: الأدوار التي لعبها النص في تجلية وإبراز علم السلوك والأخلاق.

**يمكن تقسيم الأدوار إلى ثلاثة :**

**أولا: في عصر الناظم : بعث هذا النص وغيره من النصوص المماثلة الانشغال الإيجابي بتأطير المجتمع. هذا التأطير الذي نشط على وجه الخصوص في الصعيد المحلي، دينيا وتعليميا واجتماعيا واقتصاديا وسياسيا وأخلاقيا:**

**1- الرقي بالمسلم العامي إلى مرتبة الإحسان التي عرفها النبيε :أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه انه يراك.**

**2- ساهم في تطوير ظاهرة التصوف كنشاط اجتماعي، بشكل مقنع.**

**3- أعان على بث تعاليم الإسلام في أقوام ظل إسلامهم لا يتعدى مظهر الانتماء .**

**4- تنظيم مواسم دينية ذات نفع اجتماعي .**

**ومن الأدوار التعليمية والعلمية والثقافية :**

**1- القيام على غرس التعاليم الأخلاقية المحمدية بعد تحفيظ القرآن الكريم للمتعلمين.**

**2- بناء المدارس العلمية والقيام بها .**

**3- نشر الثقافة الشفوية بمجالس المذاكرة.**

ومن الأدوار الاجتماعية **:**

1- **عمل النص على بعث ثقافة التضامن بتوفير الإيواء لعدد من أبناء السبيل وبإطعام الطعام ولاسيما في أوقات المجاعات .**

2-**حماية الجماعات من العمال الظالمين .**

3-**ضمان التوازن وتدبيره بين جماعات تحتاج إلى توازن القوى فيما بينها .**

4-**الإشراف على أوفاق التساكن وعقوده بين جماعات متجاورة تنطوي وضعيتها على احتمالات عدوانية .**

5-**كسر الحواجز القبلية وتليينها .**

6-**تأطير الاندماج الاجتماعي للمهمشين والغرباء في أوساط علاقاتها قائمة على الأنساب والعصبيات (8) .**

ومن الأدوار السياسية **:**

1-**ضمان الولاء للإمامة .**

2-**التوسط في الخير بين الحاكمين والمحكومين .**

ثانيا: في عصر الزوايا والمدارس القرآنية والمساجد (المغرب العربي عينة):

**نستطيع القول أن كتاب التصوف في هذا النص ساهم في تخريج دفعات من الشباب الربانين المتخلقين الذين افتخرت بهم عائلاتهم ومجتمعاتهم وأوطانهم وأمتهم، بقوة الضابط الإيماني واستشعار المعية الإلهية في كل زمان ومكان، خاصة إذا ما أخذنا في الحسبان أن النشء مباشرة بعد إكمال حفظ القران، وبداية علامات البلوغ، وطروء التغيرات النفسية والفسيولوجية، يبدأ بدراسة هذا المتن حتى يتمكن من حفظه وفهم معانيه، وتطبيق ما جاء فيه، إيمانا وإسلاما وإحسانا، فيبعث في نفسيته الطمأنينة والسكينة، فينعكس ذلك إيجابا على المجتمع بتحقيق الأمن الخلقي، بعدم ظهور الانحلال والسفور والخروج على الجادة، لهذا عرفت الكثير من المناطق بقلة الأفعال المشينة، وجرائم الأحداث والشباب ومنطقتنا توات خير دليل .**

ثالثا: دوره في قضايا وتحديات العصر الحضارية :

**وهذا الدور يجب يكون أكاديميا بالدرجة الأولى، بالاهتمام العلمي تحقيقا وإخراجا ودراسة وتحليلا، ولا مانع من التكامل مع القطاعات الأخرى الاجتماعية والإرشادية والتربوية والإعلامية، باستنطاق هذا النص وغيره من النصوص المماثلة وتفعيلها، والعمل على بثها وتجسيدها في المجتمعات الإسلامية للعمل على تحقيق الاهذاف التالية:**

**1- تفعيل القيم الإنسانية المربوطة بقيم الدين في ظل مقام الإحسان.**

**2- تحقيق التفاعل مع كافة الأطرف دون إهمال الآخر، فالايجابية التي يمثلها مبدأ التسامح الذي يؤمن به الصوفي تجعله صاحب هوية مركبة منفتح على الآخرين، لا يعتمد على هوية محددة في التعامل مع الآخر، بل يتقبله ويرى فيه مكملا بصرف النظر عن فوارق اللغة أو العرق أو الدين أو الثقافة أو أي انتماء آخر(9)، أي الاعتراف بشرعية الاختلاف على أرضية روحية وأخلاقية تسمو بالإنسان على كل اعتبار نفعي قاصر، وتؤهله ليستحق تكريم الحق الإلهي له بالإيجاد والإمداد(10).**

**3- انسنة الحياة المادية وتخليقها.**

**4- رفع حياة الإنسان إلى مستوى القلب والروح بسلوك تربية الروح وتصفية القلب وتزكية النفس(11).**

**5- العمل على بعث ثقافة التسامح والعفو والصفح، خاصة إذا ما نظرنا أحول الأمة وما تعانيه من جراء الاحتقان المذهبي والحزبي في كثير من الأقطار، ولا نذكر على سبيل الحصر بل على سبيل الحسرة، لبنان والعراق وغيرها من الأوطان.**

**6- العمل على إثراء الموضوعات ذات الصلة بالتصوف، كالأعمال الحسنة وتهذيب الأخلاق وتزكية النفس، إذ بالأعمال الحسنة يتنبه الوجدان إلى المعرفة الإلهية.. فيتوجه الإنسان إلى طريق الإخلاص والرضا الإلهي، فيترقى إلى مستوى يمكنه أن يؤدي كل مسألة شرعية بانتشاء تعبدي عميق، وذلك بحصول قلب آخر أعمقَ من القلب(12)**

**7- تعديل ما يتم تعليمه مدرسيا ببرامج مستوحاة من هذه النصوص تحقق الهدف الأخلاقي، مع التركيز على الجانب العملي، فلا يكفي مجرد الحفظ والتلقين للجانب المعرفي الأخلاقي، وإنما بتحويلها إلى مواصفات أبقى أثراً في شخصية النشء طيلة حياته، لان التنشئة الأخلاقية تربية وليس تعليماً، علما أن المدرسة باعتبارها بيئة ومحيط اجتماعي تتحقق على أرضيته القيم والمثل من خلال وعي أطراف العملية التعليمية بقيمة ما يقولونه وما يفعلونه على مرئى ومسمع الطلاب، وربط القيم الأخلاقية التي تقدم بمفردات واقع النشء داخل وخارج المدرسة من خلال أمثلة واقعية ترتبط بالمحيط البيئي ليتعلم النشء متى وأين يطبق تلك المعارف النظرية**(13).

المبحث الثاني: مبدأ الإحسان في حديث جبريل وأثره في كتاب التصوف لابن عاشر.

المطلب الأول: العناصر الثلاثة في حديث جبريل.

**الحديث:عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه اثر السفر ولا يعرفه منا احد حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فاسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخديه قال يا محمد اخبرني عن الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام أن تشهد أن لا اله إلا الله وان محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا قال صدقت قال فعجبنا له يسال ويصدقه قال فاخبرني عن الإيمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الأخر وتؤمن بالقدر خيره وشره قال صدقت قال فاخبرني عن الإحسان قال أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه انه يراك قال فاخبرني عن الساعة قال ما المسؤل عنها بأعلم من السائل قال فاخبرني عن أماراتها قال أن تلد الأمة ربتها وان ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاة يتطاولون في البنيان قال ثم انطلق مليا ثم قال لي يا عمر أتدري من السائل قلت الله ورسوله اعلم قال فانه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم** (14).

العنصر الأول: الإسلام.

**عرفه الحافظ بن حجر عند شرحه للحديث:**

**1- الإسلام إظهار لأعمال مخصوصة.**

**2-الإسلام اسما لما ظهر من الأعمال(17).**

**أما النووي فعرفه:**

**-أصل الإسلام الاستسلام والانقياد(18).**

العنصر الثاني: الإيمان.

**لقد تلونت تعار يفه عند شراح الحديث الأنف، لكنها تجتمع حول الاعتقاد الباطني، فعند الحافظ بن حجر العسقلاني في فتح الباري بشرح صحيح البخاري.:**

**1- الإيمان تصديق بأمور مخصوصة.**

**2- الإيمان اسم لما بطن من الاعتقاد(15).**

**أما النووي في شرحه لصحيح مسلم عرفه بأربع تعار يف (16).**

**1-الإيمان أصل التصديق .**

**2-الإيمان في لسان الشرع هو التصديق بالقلب والعمل بالأركان.**

**3-الإيمان قول وعمل يزيد وينقص.**

**4- الإيمان هو التصديق الباطن(16).**

العنصر الثالث: الإحسان.

**قال الحافظ بن حجر: ثلث بالإحسان لأنه متعلق بهما (19)، وهو أمر يجمع بين الاعتقاد الباطني والعمل الظاهري بحيث يوازن بينهما ويجعل الأول مكملا للآخر، وبالتعبير الرياضي (إيمان+إسلام= إحسان) فحل معادلة طرفاها إيمان وإسلام هو الإحسان، والمقصود به إتقان العبادة وإحسانها والإخلاص فيها والخشوع وفراغ البال حال التلبس بها ومراقبة المعبود، وان يستحضر أن الحق مطلع عليه يرى كل ما يعمل، ثم عقب بن حجر وقال : وهذا القدر من الحديث أصل عظيم من أصول الدين، وقاعدة مهمة من قواعد المسلمين وهو عمدة الصديقين وبغية السالكين وكنز العارفين ودأب الصاحين، وهو من جوامع الكلم التي اوتيها ﷺ (20).**

**أما النووي قال : أن مقصود الكلام الحث على الإخلاص في العبادة ومراقبة العبد ربه تبارك وتعالى في إتمام الخشوع والخضوع وغير ذلك(21).**

المطلب الثاني: شرح مفهوم الإحسان.

**الإحسان هو العنصر الثالث من عناصر الدين، وهذا العنصر يتضمن جانبين هما: إحسان التعامل مع الله وإحسان التعامل مع الناس(22).**

**فمما سبق وانطلاقا من منطوق الحديث: الإحسان هو أن تحسن كل عمل وتتقنه، مع الشعور بمعية الله كأنك في حضرته، وتسلم جسمك وقلبك له، ومن هنا هذا المقام أحق أن يصبح علما قائما بذاته، والأحق أن يسمى بعلم المراقبة أو المشاهدة أو المعية، وهو علم يعرف به كيفية تصفية الباطن من كدرات النفس(23).**

المطلب الثالث: تطبيقاته في كتاب التصوف لابن عاشر.

**ختم المؤلف هذا النظم بمسائل مبادئ علم التصوف وفاء بما وعد به في صدر النظم وتيمنا بحديث جبريل السابق، وتفاؤلا بحسن الخاتمة، لان السعي في تصفية القلب وتطهيره خاتمة الأمر(24)، فبعد ما فرغ من مبحثي الإيمان والإسلام كما أشار في قوله في البيت الخامس:**

**- في عقد الأشعري وفقه مالك وفي طريقة الجنيد السالك(25).**

شرع في مبحث الإحسان الذي سماه ب (كتاب مبادئ التصوف، وهوادي التعرف)، ويحتوي هذا الكتاب على(22)بيتا(26).

فابتدأ هذا الكتاب بمقام التوبة وكيفيتها للوصول إلى التقوى المرجوة، إذ هي المدخل وبداية المعية أو مفتاحها، وكما هو معلوم أن التخلية تسبق التحلية، والتوبة هي أول أوصاف التحلية ليصبح الإنسان محسنا، وهي شرط للفلاح (27). امتثالا لقوله تعالى: (وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) (28).

قال الناظم:

- وتوبة من كل ذنب يجترم تجب فورا مطلقا وهي الندم .
- بشرط الإقلاع ونفي الإصرار وليتلاف ممكنا ذا استغفار.
- وحاصل التقوى اجتناب وامتثال في ظاهر وباطن بذا تنال.
- فجاءت الأقسام حقا أربعة وهي للسالك سبل المنفعة (29)..

ثم راح يوضح جهاد النفس بضبط ميزان الشهوات الحسية في قوله :

- يغض عينه عن المحارم يكف سمعه عن الماثم .
- كغيبة نميمة زور كذب لسانه أحرى بترك ما جلب .
- يحفظ بطنه من الحرام يترك ما شبه باهتمام .
- يحفظ فرجه ويتقي الشهيد في البطش والسعي لممنوع يريد.
- ويوقف الأمور حتى يعلما ما الله فيهن به قد حكما .
- يطهر القلب من الرياء وحسد عجب وكل داء(30).

ويتأتى هذا بغلق منافذ اكتساب السيئات وهي الجوارح السبعة :السمع والبصر واللسان واليدان والرجلان والبطن والفرج، فإذا روقب ما يدخل ويخرج منها امتثالا واجتنابا، سلم القلب والجسد معا.

ثم اخبر أن أصل أمراض القلوب التي يطلب من المرء تطهير قلبه منها، هي الشهوات المعنوية التي تنسي الآخرة وتجعلك دائرا في مكاسب الدنيا، كالرياء والحسد والعجب وحب الرياسة وغيرها في قوله:

- واعلم بان أصل ذي الآفات حب الرياسة وطرح الأتي .
- رأس الخطايا هو حب العاجلة ليس الدوا إلا في الاضطرار له(31).

وأتم قائلا:

- يصحب شيخا عارف المسالك يقيه في طريقه المهالك .
- يذكره الله إذا رءاه ويوصل العبد إلى مولاه .
- يحاسب النفس على الأنفاس ويزن الخاطر بالقسطاس .

**– ويحفظ المفروض رأس المال والنفل ربحه به يوالي .**

**– ويكثر الذكر بصفو لبه والعون في جميع ذا بربه (32).**

**يؤكد الناظم رحمه الله في أبياته السابقة انه لابد للمريد أو المحسن من صحبة شيخا عارفا مرشد محقق، قد فرغ من تأديب نفسه وتخلص من هواه (33). لا أن يأتي شخصا عاصيا ويجعله مربيا وهو يشاهد معصيته، لان فاقد الشيء لا يعطيه، لأنه عاص لله لا يعرف عن الوحي شيئا ولاعن الله حقيقة، فكيف يطلب من عنده التوصيل إلى هذه الهداية ؛ فلا يكمن أن يتم هذا، فالذي تجده مقبلا على الدنيا وعلى حطامها ويجعل لنفسه حقا على الآخرين، تصوفه مردود، لكن الذي يطلب الهداية من موقعها الحقيقي ياخدها من الوحي ويلتزم هو بها ويمارسها تطبيقا في نفسه، بتخليه عن الرذائل وتحليه بالفضائل، ولا تجده على معصية ولا تراه إلا في الطاعات، هذا يستحق أن يكون شيخ تربية لأنه قد ربى نفسه ونجح فيها، ولا ينبغي ذلك أن يكون على أساس استعباد لعباد الله واستغلال لهم، بل على أساس التعاون على البر والتقوى، ولا يقتضي جزاء ولا شكورا ؛لا هدايا ولا أمور مشروطة. وان يحاسب المحسن نفسه في الحركات والسكنات ويحافظ على الفرض والنفل وألا يفرط فيهما، وان يجعل لنفسه ذكرا مع الله وان يكثر منه ليلين قلبه ويصفوا(34).**

**واستأنف قائلا :**

**– يجاهد النفس لرب العالمين ويتحلى بمقامات اليقين.**

**– خوف رجا شكر وصبر توبة زهد توكل رضا محبه.**

**– يصدق شاهده في المعاملة يرضى بما قدره الإله له.**

**– يصير عند الله عارفا به حرا وغيره خلا من قلبه.**

**– فحبه الإله واصطفاه لحضرة القدوس واجتباه(35).**

**فحث الناظم المحسن مجاهدة نفسه، وأن يحليها بمقامات اليقين وشرع الناظم يذكرها ويعددها :**

1– مقام الخوف: لا يجب أن يفقده المؤمن لان لا يامن مكر الله إلا القوم الخاسرون، وان يستحضر عذاب الله، وعقابه وآفات الدنيا وابتلائها وشر الابتلاء في الدين، وعذاب القبر وأهوال الآخرة .

2– مقام الرجاء: والإنسان محتاج أن يعلق أمله بالله، وألا يريد حاجة فيما سواه، وان يكون راجيا لما عند الله، ويكون في حياته بين الخوف والرجاء، فلا يغلب احد الجانبين على الأخر، لأنه إذا غلب الرجاء دخل عليه الشيطان من هذا المدخل، فظن انه قد غفر له وان مغفرة الله أوسع من ذنبه وهذا يكفي، وإذا غلب الخوف فالشيطان يوهمه أن ذنبه أعظم من المغفرة وكلاهما مزلقة ومزلة للأقدام، فعلى المؤمن السوي أن يجعل نفسه بينهما، ويرجح احدهما في بعض الأوقات على حسب الطاعة والمعصية، فعند الطاعة يرجح الرجاء وعند المعصية يرجح الخوف، ويحسن الظن بالله.

3- مقام الشكر: لله التحلي به من أعظم الأوصاف، لهذا جعل الله القليل من عباده الشكور، فأهل الشكر قلة ؛ لان الشكر هو تصريف جميع ما انعم على الإنسان في طاعة الله ووجهها الصحيح .

4- مقام الصبر: والصبر ثلاث شعب: الصبر على معصية الله، أي أن يجاهد نفسه على ألا يقربها، والصبر على طاعة الله أن يؤديها على أكمل وجه وبشروطها، الصبر على قضاء الله، .فإذا جاءته فتنة أكانت مرضا أو امتحانا آخر، صبر وجاهد ثابتا، فلا يسمح لنفسه أن يعبد الله على حرف أي على طرف إيمان، وان يتذكر نعم الله عليه.

5- التوبة وقد سبق الكلام عليها آنفا .

6- الزهد: وهو بمعناه الحقيقي تذكر الآخرة كل برهة حتى في ملذات الدنيا المباحة.

7- التوكل: ويقتضي التوكل على مسبب الأسباب لا على الأسباب، وان يعلم أن عقله وتدبيره لا يوصله إلى النتيجة إلا بمشيئة الله، ومن هنا يزداد توكله على الله ومعرفته بحقيقة الأسباب (36).

8- الرضا: ولا يكتمل تصوره إلا بالمحبة الكاملة لله.

9- المحبة: لا تتصور إلا بعد معرفة الحي وإدراكه، مع فهم حقيقة الأقدار ألما مع أمل وحزن يعقبه فرح.

**إن التحلي بهذه الصفات بعد التخلي عن تلك الصفات السابقة هو الذي يسمى بالتربية، التي من خلالها يصل الإنسان إلى المقام المطلوب الذي هو إحسان التعامل مع الله، وان لم يستطع المسلم بلوغ ذلك فيصحب الصالحين من الذين ينافسونـه في الطاعات ويحضونه عليها ولا يراهم يعصون الله تعالى ويراهم مقبلين عليه فيذكرونه به، فمن رأى واحدا منهم ووثق به، فمجرد مخالطته ولو لم يسمع منهم كلمة واحد ة كافية على الالتزام بهذا، ومن هنا فان ما يسميه الناس بالتربية الروحية وهو الذي اشتهر بالتصوف، منه مقبول ومردود، فان كان على الوجه الذي ذكرناه، تخليا عن الأوصاف الذميمة وتحليا بالأوصاف الحميدة ومحاسبة للنفس، فهذا هو التصوف المحمود ولابد منه، وهو داخل في مقام الإحسان، لكن لا مشاحة في الاصطلاح لك أن تسميه سلوكا أو تربية أو تصوفا، أما ما خالف هذا من الخرافات والدجل فهو مردود.وهنا ننبه انه لا يجب أن يذهب المسلم إلى مقام الإحسان إلا بعد تفقهه في العقيدة ثم الأحكام الشرعية، فلا يؤتى بالآخر ويترك الأصل لان الإحسان في الدرجة الثالثة، والترتيب هنا واجب لكي لا يقع في الغلطات كالإشراك والكفر.**

**وقد اشتهر في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم ترابط هذه التربية، فلم يشتهر من الصحابة ولا من التابعين ولا من تابع التابعين من تمحضوا للتربية الروحية وحدها، بل كانوا جامعين للأسس الثلاثة، أما ما وقع فيه المتأخرين في البحث عن التخصصات، واتساع دائرة العلوم وتقسمها بين أرباب الاختصاص، إنما جاء بعد القرون المزكاة والقرون الأولى، فقول ابن عاشر رحمه الله :**

**- في عقد الأشعري وفقه مالك وفي طريقة الجنيد السالك.**

لو قال في (عقد مالك وفقه مالك --- وفي طريقة الإمام مالك ) لكان مصيبا، لان مالكا كما هو شيخ في الفقه، وهو شيخ في العقيدة والإيمان والسلوك والتربية أيضا، وكذالك أولئك المرضيين من العلماء في القرون الأولى ليس احد منهم غير مرضي في السلوك أو العقيدة بل أئمة في الأسس الثلاثة.

وفي الأخير إذا اتبع الإنسان هذه الأمور فسيصل إلى مقام المراقبة وهي أن يعبد الله كأنه يراه، وبالتالي يتقن عمله لان الإتقان مطلوب شرعا وهذا هو الإحسان المطلوب فيستكمل دينه، علما أن الإحسان ليس هو الإكثار من الرياضات الروحية التي تقتضي إضعاف العقل والبدن، ومن هنا أن وجه الإحسان لا يكون بهذه الرياضات وليس بتكرير الكلمات التي لا يفهمها الإنسان، وليس بالتعود على روتين خاص في الحياة، يقتضي الانعزال والانكماش وعدم مشاركة الناس في حياتهم، وليس بعدم التأثير في عباد الله وعدم المشاركة في نصرة دين الله، كما يتوهمه الكثير أن الصوفي يجب أن يكون منعزلا عن الناس، وأولاده وأهل بيته لا يعنون له شيئا وهذا غلط فادح، فالأولى أن يكون مربيا لأهل بيته قبل أن يربي نفسه، كذلك فان الانعزال عن شؤون وأمور الحياة سلبا يجعل إيمانه ناقص، فلا يكون صوفي بالمعنى الذي شرحناه إلا بالاهتمام بشؤون المسلمين، ساعيا لهدايتهم، وإعلاء كلمة الله ونصرة دينه، مشاركا في تربيتهم على الوجه الصحيح(37).

الخاتمة:

**إن علم السلوك والتربية ليحتاج إلى دراسات مستمرة لارتباطه بحياة الناس، وحضارة العصر التي طغت المادية عليها بشكل رهيب، وأصبحت أكثر طلبا من أي وقت مضى للقيم الأخلاقية في ظل مقام الإحسان ومحاولة انسنتها.**

ومن أهم النتائج:

**الإحسان أو التصوف أصل من أصول الدين لا يمكن إنكاره، شانه شان العقيدة والأحكام العبادية والمعاملاتية.**

**أن دور المتون والمختصرات دورا لا يستهان به في إبراز وتجلية علم السلوك والتربية، خاصة إذا ما أخذنا في الحسبان أن حديث جبريل كان له الأثر الكبير على منهجيه التأليف المختومة بالتصوف بعد معالجة مبحثي الإيمان والإسلام ونذكر على سبيل المثال: المتن المدروس، ومتن أسهل المسالك في مذهب الإمام مالك، ورسالة أبي زيد القيرواني، والحكم العطائية لابن عطاء الله وغيرهم.**

**إن منهجية التأليف التي اشرنا إليها عبارة عن حلقات مترابطة، فأي خلل يمس مبحثا من المباحث الثلاثة ؛ سيتعدى أثره إلى الحلقات الأخرى.**

**أهمية أنموذج ابن عاشر، لوجوده في عصر كثر فيه الأميين وغير العارفين في مسائل الدين الثلاثة هذا من جهة، وللأثر الإصلاحي الذي بثه وتركه.**

**إن التصوف أو الإحسان هو العامل المؤسس للوحدة بين الإيمان والإسلام، أو العقيدة والفقه.**

**إن عدم قبول مصطلح التصوف عند البعض، لا ينبغي أن يكون سبب رفضه هو بعض التصرفات المنحرفة المحسوبة عليه، لان المصطلح ذو أصل في اللغة، وفي الشرع. وعليه فالمطلوب هو فهم معناه في إطار التصور الإسلامي.**

التوصيات:

**تفعيل قيم التصوف في كافة الأوساط .**

**الاهتمام بالدراسات التي تخدم هذا العلم.**

**وأخيرا آمل من كل مؤلف وخطيب وأستاذ ومرشد أن ينهج في عمله وإنتاجه الفكري الإطار التعليمي البيداغوجي السماوي الرباني الجبريلي المحمدي، بدء من الإيمان ومرورا بموضوعه أكان عباديا أو معاملاتيا وان يختتمه بالإحسان .**

**والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.**

الهوامش:

**(1)القران الكريم، سورة الأنعام، الآية 120 .**

**(2)محمد الحسن ولد ددو، شرح بن عاشر، بتصرف من موقع**
http://www.dedew.net/index.php?A__=-1

**(3)الدر الثمين والمورد المعين شرح المرشد المعين على الضروري من علوم الدين لابن عاشر، الشيخ محمد بن احمد ميارة المالكي، دار الفكر بيروت 2005، ص ص(4، 5).بتصرف**

**(4)متن المرشد المعين على الضروري من علوم الدين، عبد الواحد بن عاشر، مكتبة المعارف، ص(5).**

**(5)صحيح مسلم بشرح النووي، ج1، دار الكتاب العربي، ص، ص(156، 160).**

**(6)شرح الفوز المبين بالمرشد المعين، الحبيب بن عبد الرحمن العلوي التواتي السالي، ص(219).**

**(7) متن بن عاشر، ص(2).**

**(8) راجع موقع وزارة الأوقاف والشؤون الدينية للمملكة المغربية،** www.maroc-islam.com/ar/detail.aspx?

**(9)رياض عامر القيسي، التصوف ودوره في اغناء الفكر والأدب، من موقع** www.islamic-sufism.com

**(10) محمد التهامي الحراق، أي دور للتربية في عصر العولمة، من موقع**
www.islamonline.net/servlet/satellit?

**(11)، (12) التصوف من حيث المنشأ، المصدر: موقع الأستاذ فتح الله كولن:**
http://ar.fgulen.com/index.php/content/view/473/17

**(13)** –د . عثمان بن صالح العامر دور المؤسسات التعليمية في تحقيق الأمن الخلقي والمجتمعي في عصر العولمة.**من موقع:**
http://www.minshawi.com/cgi-bin/search/fmsearch.cgi

**(14) شرح النووي، ن م، ص، ص(156، 160).**

**(15) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للإمام الحافظ بن علي بن حجر العسقلاني، ص(114.115).**

**(16) شرح النووي، ص، ص(145، 148).**

**(17) فتح الباري، ص ص(114–115).**

**(18)شرح النووي، ص، ص(144، 171).**

**(19)فتح الباري، ص(118).**

**(20) ينظر: فتح الباري، ص(120).**

**(21) –النووي، ص، (158).**

**(22)ولد ددو، محاضرة الإحسان، موقع** http://www.dedew.net/index.php?A__=-1 **بتصرف**

**(23) شرح ميارة، ص(389).**

(24) –متن ابن عاشر، ص(02) .

(25) ميارة بتصرف، ص، (388).

(26) متن بن عاشر، ص، ص(23، 25).

(27) محاضرة الإحسان لولد ددو. بتصرف

(28) النور، الآية، 31 .

(29) متن ابن عاشر، ص( 23).

(30) (31) (32) متن ابن عاشر( 23–24).

(33) ميارة، ص (414).

(34) محاضرة الإحسان لولد ددو. بتصرف

(35) متن ابن عاشر، ص ص(24، 25).

(36) (37) محاضرة الإحسان لولد ددو. بتصرف